سعدي يوسف

الساعة الأخيرة

فلسطينيةً كانت

تبدو المنائر غير ما ألف الهواء :
أهلّـة في الارض انشبت النهايات الدقيقة ..
والسلالم .. دربها الحلزون يحمل رجفة الاصوات
نحو القاع منكفئا ..
وأي مؤذن بالاختباء ، يقول :
أرملة حمامة غارنا المنسي
أرمل هجسنا
والعشب في الطرقات ارمل ..
ايها الساعون كالحيات ، جاءت ساعة الصلوات
فاختبئوا ....
وفي سجداتنا اختبئوا
وتحت نجوم من قادوكم اختبئوا
وفي الصحف التي سطرتم اختبئوا
وفي الكتب / المقاهي / المشرب / المبغى /
الاعيب السياسة / سقطة الشعراء / نادي
النخبة / البترول / ارداف النساء /
وشقة اللوطي / قاعات الفنادق / خطوة
الطاووس / مدرسة التجسس / غرفة الاعدام
في كل الذي أحببتم ...
اختبئوا ...

لئلا تبصروا وجه التي اغتصبت
وقطع جسمها قطعا
وفرّق ـ وهو يقطر ـ مائتا عشرين مقبرة ..
وآلافا من الثكنات
مرفوعا على الارماح حين يدرّب الفرسان
مرفوعا على راياتنا العشرين
مرفوعا على الالواح قرب مدارس الطيران
منقوشا بكل رصاصة قتلت فتى منا
وكل حجارة ، في كل دار حولت سجنا
أقول :

لأجلها اختبئوا

وخوف بهائها اختبئوا
وخوف معادها اختبئوا
فلسطينية كانت
وصارت لعبة دوارة في ساحة العشرين .

تل الزعتر

تحشرج طفلة في المخبأ ـ الخيمة
وتأكل ثديها ..
وتقاسم الأمة .

تلفزيون

يتحدث عن تل الزعتر
ويغني للفتيات الشبقات
وللغلمان بحانات النهر

مجنّـد

لم يؤسر في حرب طبقية
او حرب أخرى
لكن جُزئت ناصيته

دولـة

مذ سمعت آخر صوت في تل الزعتر
دخلت في مصرفها
دخلت .. لكن لم تخرج حتى الآن .

المدينـة

يسقط تل الزعتر
في جرعات العرق الثلجي
وينهض تل الزعتر
في الشبق الباحث عن شقة عاهرة
في آخـرة الليل .

أشخاص

بدلا من رايات الثورة
رفعوا رايات ذكورتهم .

رقيم بابليّ

تحت الأسوار ولدنا
وعلى الأسوار نموت
لم نعرف في بابل
غير القتل لأجل القوت

الأســـئلة

للقادم من تل الزعتر منخوبا بالزخات
للمتلثم في الليل العربي .. ضماد الأموات
للقادم من نهر البارد
والقادم من ايلول العام السادس والسبعين
للمتقدم قائمة القتلى
للناشر البسة الاطفال المذبوحين
للباحث عن عذراء فلسطين
للصوت الصارخ في البرية
للمُطعم غدارته لحم ذراعيه :
نقدم هذا الحمأ المسنون
نقدم بلدانا عارية الا من بدلات جاهزة
ونشيدا للمنتصرين على أطفال الله
وناعورا من دم هذا الشعب
وقنبلة للاسماك
ورايات تتغير كل ثلاث سنين ..

عمّ يسائلنا هذا الصوت الصارخ في البرية ؟
عم يسائلنا القادم من تل الزعتر ؟
والقادم من نهر البارد ؟
والقادم من أيلول ؟
عم يسائلنا الصوت الباحث عن عذراء فلسطين ؟
أو لم نعرف بعضا ؟
أو لم نولم لطيور الأردن لحوم « الوحدات »
وأطفال الزرقاء ؟
أو لم نأكل فوق جسوم القتلى خبزهمو مرشوشا بالمـــاء ؟
أو لم نجلس في قاعة مشرحة حول فلسطين ؟
أو ما مزقنا جثتها . مزقا ؟
لنسلمها :

واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ،
واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ،
واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ،
واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ؟

أو لم نعرف بعضا ؟
حسنا ...
واذن ...
عم يسائلنا هذا الصوت الصارخ في البرية ؟
عم يسائلنا القادم من تل الزعتر ؟
عم يسائلنا الصوت الباحث عن عذراء فلسطين ؟

هاجـس

لكأنني ألقى الحقيقة في يدي .. بســـيطة كالعشب :
أمتنـا تشيخ . وبـين مكاتب الحكـام والعقـــداء
تفقـد آخر أرضها : القبـر المهيـأ . أمـــة بعثت
ولـكن منذ آلاف السنين . وما الذي يأتي ؟ الشرارة
قد تجيء . وليس بعد الموت من موت . وآخر أرضنا :
القبر المهيأ كان عنـد التل .. والحكام والعقـــداء
ينتظرون ساعتها الأخيرة .

بغداد ١٩٧٦/٨/٢٠